## ٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء

**اعْلَمْ أَنَّ المُخْتَارَ لِلْعَبْدِ في حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَواءً، وفي حَالِ المَرَضِ يُمحَّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَى ذلك.**

**قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَلاَ يَأمَنُ مَكْرَ الله إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرونَ} [الأعراف: ٩٩]، وقال تَعَالَى: {إنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ} [يوسف: ٨٧]، وقال تَعَالَى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: ١٠٦]، وقال تَعَالَى: {إنَّ رَبَكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ [ص:١٥٨] وَإنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأعراف: ١٦٦]، وقال تَعَالَى: {إنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقال تَعَالَى: {فَأمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة: ٦ - ٩] والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ. فَيَجْتَمعُ الخَوفُ والرجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أَو آيات أَو آية.**

==========

**قول الإمام النووي – رحمه الله –اعْلَمْ أَنَّ المُخْتَارَ لِلْعَبْدِ في حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَواءً، وفي حَالِ المَرَضِ يُمحَّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَى ذلك. انتهى .**

أي : أن الواجب على العبد مادام على قيد الحياة أن يكون متعادلاً بين الخوف والرجاء، فالخوف والرجاء يجب أن يكونا متلازمين؛ إذ الخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمن من مكر الله. فلا يغلِّب العبدُ جانبَ الرجاء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الأمن من مكر الله؛ فيكونَ من الذين قال الله فيهم ( أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ) .

ولا يغلِّب العبدُ جانبَ الخوف؛ لئلا يفضي به إلى اليأس من رحمة الله؛ فيكون من الذين قال الله فيهم ( وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ) ومن الذين قال الله فيهم ( إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ) .

**قال ابن القيم** رحمه الله: القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه؛ والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سَلِمَ الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر .

روى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت (قلت يا رسول الله قول الله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يُقبل منه) .

قال الحسن البصري رحمه الله : عمِلوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها؛ وخافوا أن تُرد عليهم، إن المؤمنَ جمع إحسانًا وخشية، والمنافقُ جمع إساءةً وأمنًا .

**قَالَ اللهُ تَعَالَى ( فَلاَ يَأمَنُ مَكْرَ الله إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرونَ ) وقال تَعَالَى ( إنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إلاَّ القَوْمُ الكافِرُونَ ) .**

في هذه الآيات تحريم الأمن من مكر الله .

والأمن من مكر الله هو : الغفلة عن عقوبته مع الإقامة على موجبها وهي المحرمات.

وهو حرام ، ودلالته من هذه الآية من وجهين:

**أولاً:** (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ) لأنه استفهام إنكاري يتضمن ذمهم على ما اقترفوه، والذم دليل على التحريم.

**ثانياً:** (إلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) لأنه جعله سبباً لخسرانهم، وما أنتج خسراً فهو محرم مبائن لتعظيم الله.

**قال السعدي:** وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان.

بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد – ولو بلغت به الحال ما بلغت – فليس على يقين من السلامة.

والأمن من مكر الله سبب للهلاك :

كما في أول الآية (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ . أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ) .

معنى الآية :

أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل ، بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله ، وعدم الخوف منه ،كما قال تعالى : ؟ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون . أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحىً وهم يلعبون ؟ .

ثم بين أن ذلك بسبب الجهل والغرة في الله ، فأمنوا مكرهم في ما ابتلاهم به من السراء والضراء بأن يكون استدراجاً فقال : ؟ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ؟ . أي الهالكون .

وفي الحديث : ( إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ) . رواه أحمد والترمذي

**وفي الآيات :**

١–وجوب الخوف من مكر الله.

٢ – الحذر من النعم التي يجعلها الله للعبد، لئلا تكون استدراجاً.

٣ – الأمن من مكر الله سبب للهلاك.

٤ – تحريم الأمن من مكر الله.

٥ – وجوب الخوف من الله، ومن عقابه وانتقامه.

**وقال تَعَالَى ( يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ) .**

يعني يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم تكون وجوهُ المؤمنين مبيضّة ووجُوه الكافرين مسْوَدّة .

**قال الشنقيطي**: بين في هذه الآية الكريمة أن من أسباب اسوداد الوجوه يوم القيامة الكفر بعد الإيمان وذلك في قوله (فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) الآية.

وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكذب على الله:

وهو قوله تعالى (وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَذَبُوا عَلَى الله وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ).

وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك اكتساب السيئات:

وهو قوله (والذين كَسَبُوا السيئات جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ الليل مُظْلِماً).

وبين في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكفر والفجور:

وهو قوله تعالى (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أولئك هُمُ الكفرة الفجرة).

وهذه الأسباب في الحقيقة شيء واحد عبر عنه بعبارات مختلفة، وهو الكفر بالله تعالى، وبين في موضع آخر شدة تشويه وجوههم بزرقة العيون وهو قوله (وَنَحْشُرُ المجرمين يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) وأقبح صورة أن تكون الوجوه مسوداً والعيون زرقاً.

– وفي وصف هذا اليوم بأنه تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه تهويل لأمره، وتعظيم لشأنه، وتشويق لما يرد بعد ذلك من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة وأصحاب الوجوه المسودة، وترغيب للمؤمنين في الإكثار من التزود بالعمل الصالح وترهيب للكافرين من التمادي في كفرهم وضلالهم.

**قال ابن عاشور**: والبياض والسواد بياض وسواد حقيقيان يوسم بهما المؤمن والكافر يوم القيامة، وهما بياض وسواد خاصان لأن هذا من أحوال الآخرة فلا داعي لصرفه عن حقيقته.

**من فوائد الآية** : بَيَاضُ الْوُجُوهِ وَحُسْنُهَا سِيمَا أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَوَادُهَا وَقُبْحُهَا وَزُرْقَةُ الْعُيُونِ سِيمَا أَهْلِ النَّارِ، كَمَا قَالَ أَيْضًا فِي سِيمَا أَهْلِ الْجَنَّةِ (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) وَقَالَ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ) وَقَالَ فِي سِيمَا أَهْلِ النَّارِ (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) وَقَالَ (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ)، وَقَالَ (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا).

**وقال تَعَالَى ( إنَّ رَبَكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ . وَإِنَّهُ لَغفُورٌ رَحِيمٌ ) .**

(**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ**) أي: لمن عصاه وخالف أمره و شرعه.

(**وَإِنَّهُ لَغفُورٌ رَحِيمٌ**) أي: لمن تاب إليه وأناب.

وهذا من باب قرن الرحمة مع العقوبة، لئلا يحصل اليأس، فيقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب كثيرا؛ لتبقى النفوس بين الرجاء والخوف.

قال تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ).

وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)

**من فوائد الآيات** :

١ –أن الله شديد العقاب وسريع العقاب.

٢ – الخوف من غضب الله وانتقامه.

٣ – أن الله كما أنه سريع العقاب فهو غفور رحيم لمن تاب وأناب وأصلح عمله.

٤ – إثبات اسمين من أسماء الله وهما: الغفور والرحيم.

**وقال تَعَالَى ( إنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ) .**

( **إِنَّ الْأَبْرَارَ** ) الأبرار جمع بَر ، والبر كثير الطاعة ، كثير الخير والإحسان ، محسن في عبادة الله ، ومحسن إلى عبادة الله .

**قال ابن عاشور** : وإنما سمي التقيّ بَرّاً لأنه بَرَّ ربه ، أي صدقه ووفى له بما عهد له من الأمر بالتقوى.

وقد قال تعالى ( لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) .

( **لَفِي نَعِيمٍ** ) نعيم معنوي : وهو نعيم القلب ، ونعيم حسي : وهو نعيم البدن في جنات النعيم .

**قال ابن القيم** : ( ولا تحسب أن قوله تعالى ( إن الأبرار لفي نعيم . وإن الفجار لفي جحيم ) مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط ، بل في دورهم الثلاثة كذلك : أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، فهؤلاء في نعيم ، وهؤلاء في جحيم .

**وهل النعيم إلا نعيم القلب ؟؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟؟**

وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله ؟ ) .

( **وَإِنَّ الْفُجَّارَ** ) الفجار : جمع فاجر ، وهم أهل الكفر والفجور .

– **قال ابن عاشور** : والفاجر : المتصف بالفجور وهو ضد البرور، والمراد بـ ( الفجّار ) هنا : المشركون، لأنهم الذين لا يغيبون عن النار طرفة عين وذلك هو الخلود ، ونحن أهل السنة لا نعتقد الخلود في النار لغير الكافر .

( **لَفِي جَحِيمٍ** ) اسم من النار ، سميت بذلك لجهمتها وظلمتها وبعد قعرها .

( **يَصْلَوْنَهَا** ) يدخلونها ويغمرون فيها ويقاسون حرها من كل جهة ومن كل جانب .

قال ابن عاشور : وصَلْيُ النار : مَسُّ حرّها للجسم .

( **يَوْمَ الدِّينِ** ) أي : يوم الجزاء يوم القيامة، وسمي يوم الدين لأن الناس يدانون فيه بأعمالهم، أي : يجازون بها ويحاسبون عليها .

**وقال تعَالَى ( فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ) .**

( **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ** ) أي : رجحت حسناته على سيئاته .

( **فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ** ) أي : في عيشة كريمة في الجنة يرضاها لنفسه ، كما قال تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ) .

( **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ) أي : رجحت سيئاته على حسناته .

( **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ) أي : فأمه التي يرجع إليها ويصير في المعاد إليها هاوية ، وهي اسم من أسماء النار .

**قال ابن جرير** : وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها .

**وقال القرطبي** : وسماها أماً لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه ، قاله ابن زيد .

وهاوية اسم من أسماء النار ، سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها .

عن أبي هريرة ﷺ قال : (كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبة ، فقال النبي ﷺ : تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجرٌ رمي به في النار منذ سبعين خريفاً ، فهو يهوي في النار ، الآن حتى انتهى إلى قعرها ) . رواه مسلم

**وقيل** : معناه ساقط بأم رأسه في نار جهنم .

**٤٤٣ – وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ ( لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ ) رواه مسلم.**

==========

١–قوله ( **وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أحَدٌ** ) وجاء عند البخاري (لو يَعلَمُ الكافِرُ بكُلِّ الذي عِندَ اللهِ مِنَ الرَّحمةِ لم ييأَسْ مِنَ الجَنَّةِ) قوله (لم ييأَسْ مِنَ الجَنَّة) **قيل:** المرادُ أنَّ الكافِرَ لو عَلِمَ سَعةَ الرَّحمةِ لغَطَّى على ما يَعلمُه مِن عِظَمِ العَذابِ، فيحصُلُ له الرَّجاءُ، **وقيل:** المرادُ أنَّ مُتَعَلَّقَ عِلمِه بسَعةِ الرَّحمةِ مَعَ عَدَمِ التِفاتِه إلى مُقابِلِها يُطمِعُه في الرَّحمةِ.

٢–الحديث دليل على أنه ينبغي للمسلم أن يكون بين الخوف والرجاء كما تقدم .

**قال المُباركفوريُّ:** إنَّ المؤمنَ قدِ اختصَّ بأن يطمَعَ في الجَنَّةِ، فإذا انتَفى الطَّمَعُ منه فقد انتفى عنِ الكُلِّ، وكذلك الكافِرُ مُختَصٌّ بالقُنوطِ، فإذا انتَفى القُنوطُ عنه فقدِ انتَفى عنِ الكُلِّ. وورَدَ الحَديثُ في بَيانِ كثرةِ رَحمَتِه وعُقوبَتِه؛ كيلا يغتَرَّ مُؤمِنٌ برَحمَتِه فيأمَنَ مِن عَذابِه، ولا ييأسَ كافِرٌ مِن رَحمتِه ويترُكَ بابَه .

٣–شدة عقوبة الله .

٤–عظم رحمة الله تعالى .

٥–تحريم اليأس من رحمة الله .

٦–تحريم الأمن من مكر الله .

**٤٤٤ – وعن أَبي سعيد الخدريِّ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ ( إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أَعناقِهِمْ، فَإنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ ) رواه البخاري.**

==========

( **إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ** ) يحتمل أن يراد بالجنازة نفس الميت، وبوضعه جعله في السرير، ويحتمل أن يريد السرير، والمراد وضعها على الكتف، والأول أولى، لقوله بعد ذلك: "فإن كانت صالحة، قالت ..." فإن المراد به الميت، ويؤيده ما في الرواية المتقدّمة: إذا وضع الرجل الصالح على سريره، قال: قدّموني ...". كذا قال في "الفتح".

( **فَإنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي** ) جاء في رواية ( أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ, فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ ) .

( **وَإنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟** ) جاء في رواية ( وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ) .

١–الحديث دليل على مشروعية الإسراع بالجنازة .

٢– وفيه الحكمة من ذلك :

أ– **ووجه ذلك** : أن هذا الحديث فيه تقسيم الجنائز إلى قسمين، صالحة تقول: قدموني، قدموا، وغير صالحة، تقول: أين يذبون بها؟، فيطلب الإسراع بهما، لأن الصالح يستريح بلقاء ما قدّمه من أعماله الصالحة، وغير الصالح يستريح منه الرجال الذين يحملونه بوضعه عن رقابهم.

ب–قد ورد في حديث آخر ذكر تعليل آخر، وهي مخالفة أهل الكتاب.

فعن أبي هريرة. قال (كان رسول الله ﷺ إذا تبع جنازة قال: ابسطوا بها، ولا تدِبُّوا دَبيب اليهود بجنائزها) رواه أحمد.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عمران بن حصين (أنه أوصى، إذا أنا مت فأسرعوا، ولا تُهوّدوا، كما تُهوّد اليهود والنصارى).

**تنبيه** : المراد بالإسراع: أن يكون فوق المشي المعتاد لا الركض بها وخضها؛ لأن هذا قد يضر الميت ويشق على المتبعين من الضعفاء.

**قال النووي** رحمه الله: "والمراد بالإسراع فوق المشي المعتاد، ودون الخبب؛ لئلا ينقطع الضعفاء عن اتباع الجنازة، فإن خيف عليه تغير أو انفجار أو انتفاخ زيد في الإسراع. (شرح المهذب).

٣–وقد اختلف العلماء في حكم الإسراع بالجنازة على قولين:

**القول الأول**: أنه مستحب.

قال في المغني: لا نعلم فيه خلافاً بين الأئمة.

وقال النووي: واتفق العلماء على استحباب الإسراع بالجنازة إلا أن يخاف من الإسراع انفجار الميت أو تغيره ونحوه فيتأنى.

**القول الثاني**: أنه واجب.

وهو قول ابن حزم.

لأمر الرسول ﷺ بذلك (أسرعوا).

٤-اختلف العلماء في قوله ﷺ (أسرعوا .. ) هل المراد الإسراع بتجهيزها أو بحملها إلى قبرها على قولين:

**القول الأول**: المراد الإسراع بحملها إلى قبرها.

ورجحه القرطبي، والنووي.

لقوله ( ... فشر تضعونه عن رقابكم).

ورد النووي القول الثاني الآتي وقال: والثاني باطل مردود بقوله (فشر تضعونه عن رقابكم).

**القول الثاني**: المراد الإسراع بتجهيزها وغسلها والصلاة عليها.

قال الفاكهي: ما رده النووي جمود على ظاهر لفظ الحديث، وإلا فيحتمل حمله على المعنى، فإنه قد يُعبّر بالحمل على الظهر، أو العنق عن المعاني دون الذوات، فيقال: حمل فلان على ظهره، أو على عنقه ذنباً، أو نحو ذلك ليكون المعنى في قوله ﷺ (فشر تضعونه عن رقابكم) إنكم تستريحون من نظر من لا خير فيه، أو مجالسته ونحو ذلك، فلا يكون في الحديث دليل على رد قول هذا القائل، ويقوي هذا الاحتمال أن كل حاضري الميت لا يحملونه، إنما يحمله القليل منهم، لا سيما اليوم، فإنما يحمله في الغالب من لا تعلق له به.

**قال الحافظ**: ويؤيده – يعني كلام الفاكهي – حديث عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ (إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره) أخرجه الطبراني بإسناد حسن، ولأبي داود من حديث حصين وَحْوَح مرفوعاً (لا ينبغي لجيفة مسلم أن تبقى بين ظهراني أهله ... ).

٥-الحديث دليل على فضل أن يكون الإنسان من الصالحين ، لِيَلحَقَ بِالصَّالِحِينَ وَيَنَالَ رَحمَةَ رَبِّ العَالَمِينَ .

قَالَ تَعَالى عَن إبرَاهِيمَ عليه السلام ( وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وَقَالَ عَن إِسحَاقَ عليه السلام ( وَبَشَّرنَاهُ بِإِسحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وَقَالَ عَن نَبِيِّهِ لُوطٍ عليه السلام ( وَأَدخَلنَاهُ فِي رَحمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وَقَالَ عَن عِيسى عليه السلام ( وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ وَكَهلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وَقَالَ عَن عَدَدٍ مِن أَنبِيَائِهِ – عَلَيهِمُ السَّلامُ – ( وَزَكَرِيَّا وَيَحيَى وَعِيسَى وَإِليَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ) .

وَقَال ( وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِين ) .

وَقَالَ عَن يُونُسَ عليه السلام ( فَاجتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِين ) .

**وَلأَهمِيَّةِ الصَّلاحِ وَعِظَمِ أَمرِهِ، فَقَد دَعَا الأَنبِيَاءُ بِهِ لأَبنَائِهِم قَبلَ وُجُودِهِم، وَدَعَوا بِهِ لأَنفُسِهِم وَحَرِصُوا عَلَى أَن يُختَمَ لَهُم بِهِ .**

فَهَذَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام يَدعُو رَبَّهُ قَائِلا ( رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين ) .

وَيَقُولُ ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين ) .

وَهَذَا يُوسُفُ عليه السلام يَدعُو رَبَّهُ قَائِلاً ( تَوَفَّنِي مُسلِمًا وَأَلحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) .

**وإنَّ لِلصَّلاحِ فَضلاً عَلَى أَهلِهِ وَثِمَارًا يجنُونَهَا في الدُّنيَا وَالآخِرَة، وَإِنَّ لأَهلِهِ عِندَ رَبِّهِم مَنزلَةً عَظِيمَةً وَمَكَانَةً عَالِيَةً .**

فَالصَّالِحُونَ مَوعُودُونَ بِوِلايَةِ اللهِ لَهُم، وَمَن تَوَلاَّهُ اللهُ فَمَا أَعظَمَ حَظَّهُ!

قَالَ تعالى ( إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِين ) .

وَلِلصَّالِحِينَ بِشَارَاتٌ وَكَرَامَاتٌ تَطمَئِنُّ بِهَا نُفُوسُهُم، وَتُثَبَّتُ بِهَا قُلُوبُهُم، وَذَلِكَ بِمَا يُكرَمُونَ بِهِ مِنَ الرُّؤَى الصَّالِحَةِ الصَّادِقَةِ .

قَال ﷺ ( الرُّؤيَا الحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَربَعِينَ جُزءًا مِنَ النُّبُوَّة ) .

وَالصَّالِحُونَ هُمُ المستَحِقُّونَ لِلتَّمكِينِ في الأَرضِ، وَذَلِكَ وَعدُ اللهِ الَّذِي لا يُخلِفُ الميعَادَ .

قَالَ تعالى ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... ) .

وِمنهُ عَلَى قَولِ بَعضِ المفَسِّرِينَ قَولَهُ تعالى ( وَلَقَد كَتَبنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون ) وَأَكثَرُ المفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ المرَادَ أَرضُ الجَنَّةِ .

وَفي الحَدِيثِ القُدسِيِّ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ( أَعدَدتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَينٌ رَأَت، وَلا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَرٍ، وَاقرَؤُوا إِن شِئتم ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) .

**وَالصَّلاحُ بَرَكَةٌ تَنتَقِلُ مِنَ الآبَاءِ إِلى الأَبناءِ، وَحَسَنَاتٌ مِنَ الأَبناءِ إِلى الآبَاءِ .**

قَالَ تعالى عَنِ الغُلامَينِ اللَّذَينِ بَنَى الخَضِرُ ﷺ جِدَارَهُمَا ( وَأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَستَخرِجَا كَنزَهُمَا رَحمَةً مِن رَبِّكَ ) .

وَفي الحَدِيثِ قَالَ ﷺ ( إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انقَطَعَ عَنهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِن ثَلاثَةٍ: إِلاَّ مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلمٍ يُنتَفَعُ بِهِ، أَو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو لَه ) .

وَآخِرُ مَا يَنَالُهُ العَبدُ الصَّالِحُ فِي الدُّنيَا جَزَاءَ صَلاحِهِ، أَنَّهُ يُبَشَّرُ عِندَمَا يُوضَعُ عَلَى قَبرِهِ فَيَستَعجِلُ الدَّفنَ لِذَلِكَ .

قال ﷺ (إِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِذَا وُضِعَ الرَّجُلُ السُّوءُ عَلَى سَرِيرِهِ قَالَ: يَا وَيلَهُ، أَينَ تَذهَبُونَ بِي؟!).

**ويأتي السؤال المهم.. هل أنت من الصالحين؟ وهل تريد أن تكتب فيهم؟**

والأمر يسير لمن يسر الله له.. وكل ما عليك فعله أن تحقق مراد الله في قوله جل في علاه ( وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِين ) .

**٤٤٥ – وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله (الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك ) رواه البخاري.**

============

الحديث تقدم شرحه ( ١٠٥ ) .

الحديث دليل على أن الجنة سهلة حصولها لمن وفقه الله، وكذلك النار سهل دخولها لمن خذله الله.

**قال ابن الجوزي** : معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك، بموافقة الهوى وفعل المعصية.

ولذلك على المسلم أن لا يحتقر شيئاً من الطاعات أن يفعله، ولا يتهاون بشيء من المعاصي أن يتجنبه.

كما قال ﷺ (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِب).

والحديث دليل على وجود الجنة والنار، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد تقدم ذلك.